

## الشعر اليميني المعروف بالحميني\*

ليس الشعر اليمني المسمى بالحميني شعراً سهلاً أو مبتذلاً يقوله البليغ والعامي والفصيح والأعجمي كما يظن بعض الناس، وإنما الكلاسيكي منه شعر رفيع لا يقدر على نظمه والإكثار منه إلا من أضاف إلى علوم الفصحى علوم المجتمع من فقه وبلاغة، ومنطق وفلسفة، ولهجات ورجال، وتاريخ وجغرافيا، وعادات وتقاليد، وحتى أولئك الذين برعوا في نظم الفصحى قد لا يستطيعون نظم الحميني لأن الحميني ملكة شعر به وعلمية في نفس الوقت، لم يبرز فيها عبر السبعة قرون الماضية إلا أشخاص قلائل لا يزيد عددهم على عدد أصابع اليد، وغير هؤلاء وأن كثر إنتاجهم من هذا الشعر الملحون، فإن شعرهم لا يتجاوز الشعر العامي الذي يتساوى مع حدى المسافر لدابته والراعي لبقرته، ولست أقصد بقولي هذا نفى وجود شعر حميني آخر أصيل، بل أقول أنه إذا وجد فهو نادر والنادر لاحكم له.

وسوف يلمس القاريء صحة ماقلته عندما يقرأ تراجم فحول الشعر الحميني اليمني كمحمد بن عبد الله شرف الدين، والآنسي، والعنسي، والخفنجي، والقارة، فسوف يجد أنهم مابين أديب شهير، أو عالم نحرير، أو قاضي شرع كبير، بالإضافة إلى مكانة كل منهم الاجتماعية وبروزه في مجال البلاغة والشعر الفصيح.

وسوف يلمس القاريء صحة ماقلته أيضاً من قراءة مقطوعة حمينية صغيرة لواحد من أولئك الفحول وهو الآنسي يصف فيها مسألةً كلامية معقدة كالقدر وفيها يجد أن الآنسي كان عالماً أصولياً قبل أن يكون شاعراً حمينياً فهو يقول :

(٥) نشر بمجلة النهل في ١/ ٣/ ١٤٠٢هـ.

الجذر لا يدفع المقدور  
هيات ما قدر الله كأن  
وعبده المنهى المأمور  
الخير والشر له قد بان

لا هو مفوض ولا مجبور  
بفعل طاعه ولا عصيان

ولم يكن بالقدر معذور  
وقدرته تحتها الضدان

وداعي الفعل له مقهور  
ماله على خيرته سلطان

لأنها مثل باب السور  
من يدخل الباب بلا استئذان؟

والعلم لا يوجب المأثور  
من أي معلوم في الإمكان

فالشاعر إذ يعلن إيمانه بالقدر خيره وشره، يرد على كل من المُجبره التي تقول بأن الإنسان مجبر في أفعاله لا اختيار له ولا قدرة، والمعتزلة التي تقول بأن الفعل حدث لا يحدث له أي أنه ليس من فعل الله ولا من فعل العبد، ثم يقف من فعل العبد موقفاً يتمشى مع منطق العقل والنقل، ويصف علم الله بأنه مقدر علمي لا دافع إلزامي وحجته أن داعي الفعل واقع تحت سلطان العبد المختار، وشبه الخيرة باب السور الذي لا يولج إلا بسابق استئذان.

والحميني اليمني، كما قلت عنه قبل عشر سنوات زاخر بألوان من الشعر التمثيلي والقصصي والغنائي، ويشبهه في غالبية العظمى الموشحات

الأندلسية، ففيه التوشيح والتقفيل والدوبيت، وكذا التشطير والتربيع والتخميس إلا أنه موشح من نوع آخر، فهو ملحون لم يراع فيه الإعراب بقدر ما رُوِيَ فيه الإيقاع الغنائي والضبط الفني والنظام العروضي، ومنه ما يمتاز ببلاغة التعبير وحسن السبك وجودة الصنعة...

ولا يوجد بين ظهرانينا أي مصدر يثبت لنا الزمن الذي نشأ فيه الموشح الحميني في اليمن، إلا أننا نستطيع أن نحدد القرن الثالث الهجري تاريخاً له بدليل ظهوره بعد ذلك وفي القرن الرابع بالتحديد في الأندلس على يد رجل ضرير يدعي محمد حمود القبري نسبة إلى قبرة كما ذهب إلى ذلك ابن بسام في كتابه (الذخيرة في محاسن الجزيرة) وقال آخرون هو محمد بن محمد الفربري أو المقبري، ولكنهم اتفقوا على أن هذا الضرير كان من شعراء الأمير محمد بن عبد الله المرواني<sup>(١)</sup>.

والذي أراه أن القبري كان تصحيفاً من القيري وآل القيري مشهورون بخولان الطيال شرقى صنعاء، وقد ساهمت قبيلة خولان في الفتوحات الإسلامية ومنها الأندلس مساهمة أشاد بها التاريخ الإسلامي ومؤرخوه، ومن قادة خولان فيها أبو مسلم الخولاني وغيره.

أما الأمير محمد بن عبد الله المرواني فلا يستبعد أن يكون هو الآخر أحد الزعماء اليمنيين الذين شاركوا في فتح الأندلس أو أحد أعقابهم، والمرواني في اليمن من ينتمي إلى قبيلة (بني مروان) وهي قبيلة مشهورة بحجور الشام، أو إلى قرية (المرون) من آنس.. وسواء كان هذا الأمير مروانياً آنسياً أو مروانياً حجورياً فإن الأسماء عبد الله ومحمد وحمود مما يكثر استعمالها في اليمن، ومن هنا نجد أن القرائن تحف من كل جانب بل وتكاد تفسح بأن محمد حمود كان يمتني الأصل وأن موشحاته قد نقلت من اليمن أو كان لها أصل فيه.

(١) جذوة المقتبس : ص ٣٣٣، تاريخ ابن خلدون: ٥١٨، ٢. زهار الرياض: ١/٢٠٧.

وهناك شعر ملحون متداول في اليمن منذ قديم الزمان وربما يعود إلى فجر الإسلام ومنه :

أخصب الأرض مسورٌ واختها بُتوعرُ  
وأحور فأحور وسعوان لويمطر

وقد أورده الهمداني المتوفي بعد سنة ٣٣٦هـ في صفة جزيرة العرب .  
عند ذكره لسعون ، وقال إنه نُقل عن بعض قدماء حمير.

ومن ذلك ما أورده ياقوت الحموي المتوفي سنة ٦٢٦هـ في كتابه (معجم البلدان) عند ذكره لغيل البرمكي فقال : هو نهر يشق صنعاء وفيه يقول شاعرهم:

وأعويا إذا غاب الحبيب  
عن حبيبه إلى من يشتكي؟  
يشتكي مئة إلى والي البلد  
وعيونه مثل غيل البرمكي

ومن ثم، فيسوغ لنا أن نقول بأن الموشح اليمني كان إبان هجرته من اليمن مجرد أشطار كالقصيدة، ولكنه حظى بالأندلس بنوبة زرياب وتلحين ابن باجة وعزف ابن الحمارة، ورعته عبقرية ابن القزاز وابن ماء السماء وغيرهما من أدباء القرنين الخامس والسادس، ثم انتقل في غضون القرن السابع إلى رحاب ابن سناء المُلْك المصري فزاده سناء على سناء.

وعاد من هجرته الطويلة إلى اليمن، فكان بمثابة حبوب اللقاح تمخض بها الموشح القديم عن نظم لا هو يمني بدائي ولا غربي أندلسي وإنما بين بين، فأطلق عليه أدباء اليمن (الحميني).

## أنواع الشعر الحُميني ورجاله

### ١ - الحُميني الوجداني :

وأول من اشتهر في ميدانه ابن فليته والمزاح وكلاهما من كتاب الدولة الرسولية في اليمن (٦٢٦ - ٨٥٨هـ) وبرز في القرن التاسع الهجري في ديوان علم من أعلام الأدب اليمني ورائد كبير من رواد التوشيح هو محمد بن عبد الله شرف الدين الذي كان بالنسبة للموشح الحميني اليمني كعبادة القزاز بالنسبة للموشح الأندلسي، وقد عاش في مطلع القرن الحادي عشر الهجري، وله إلى جانب ديوانه الحميني المطبوع بالقاهرة سنة ١٣٨٠هـ ديوان شعر فصيح معرب.

وتمتاز موشحاته بالرقّة المتناهية والوجدانية النابضة المجردة من المادية والمجنون القزيزي، أما غزله فزدوج بين الخيالية الحزينة والعذرية المحرومة ولكنه في كلا الحالتين تعبير صادق عن روح متسمة بالقلب الرقيق والإحساس المرهف، وقد صيرت شاعريته من غزله انشودة عذبة تتناقلها الأجيال، ومن مشهور غنائياته التي ذاع صوتها وانتشر صداها في المجتمع اليمني هذه الأبيات وهي من موشح يربو على أربعين بيتاً :

المُعْتَى يقول: يامن سكن فؤادي

واحتجب في سعوده

كم يكون الجفأ، يا عاذلي والبعد؟

لا جُزِي من يعوده

إنّ جسمي نجلّ من كثر هذا التماذي

يا مطوّل صدوده

إن شرط الوفا في الحب ترك البعادِ

للمُعْتَبِي وَسَيِّدُهُ

وله من موشح آخر :

خَلَى حَوِيلِي أَمْ دَلَانٌ إِذَا رَأَيْتَنِي نَفْسُ  
بِاللَّهِ تَقُولُوا مَلَالٌ مِنْ فَاتِنِي أَوْ خَفْرُ؟  
أَذَابَ قَلْبِي فَسَالٌ بَيْنَ الْمَدَامِمْ قُظْرُ  
سَمِعَ مِقَالِي فَقَالَ : مَنْ كَانَ عَاشِقٌ صَبْرُ

بيت

يَهْجُرُ وَاصْبِرْ عَلَيْهِ الْهَجْرُ مَا أَصْعَبُهُ!  
لَكِنْ أَنَا فِي يَدَيْهِ يَحْكُمُ بِمَا يَعْجَبُهُ  
مَا يَهْتَوِي آلَا إِلَيْهِ الرَّاسُ لَوْ يَضْرِبُهُ  
أَنَا عَلَى كُلِّ حَالٍ عَبْدُهُ وَصَلَّ أَمْ هَجْرُ

ويلحق بمحمد بن عبد الله شرف الدين القاضي علي بن محمد العنسي المتوفي سنة ١١٣٩هـ في وجدانياته الرقيقة وله ديوان عنوانه (وادي الدُّور) طبع بالقاهرة سنة ١٣٨١هـ ومن حميمياته التي يتناقلها الناس ويتغنون بها :

وَأَمْغَرْدُ بَوَادِي الدُّورِ مِنْ فَوْقِ الْأَغْصَانِ  
وَأَ مَهْيِّجُ صَبَابَاتِي تَرْدِيدُ الْأَلْحَانِ

ما بدالك تحرك شجو قلبي والألحان  
لانت عاشق ولا مثلي مفارق للأوطان

ومنها :

ياأحبة رُبا صنعاء رعى الله صنعا  
كيف ذاك الربى لازال للعيد مرعى

لو يقع لي إلية أسعى على الرأس أسعى  
يابر وحي نجح روعي بلابل وأشجان

ومن مقطوعاته بلهجة العدين :

زعم، تريد قتلى لكثرة عُجْبِك  
إنَّه بجلّ أفعل مناك

والله ما أسكى امنعك وحبك  
في مهجتي لا أعشق سواك

ومنها بلهجة تهامه :

عَمِيْتُ في أمّ ما وأنا عطشان  
وأفْعَقَ مايشفى أمّ غلّة

فرحت أبكي وأنا هيمان  
وأشرب دموعي من أمّ قلّة

## ٢ - الحميني الحكمي :

ويتجلى في حمينيات القاضي عبد الرحمن بن يحيى الأنسي المتوفي سنة ١٢٥٠هـ له ديوانان أحدهما معرب والآخر حميني ملحون عنوان الآخر (ترجيع الأطيّار بمراقص الأشعار) طبع بالقاهرة سنة ١٣٦٩هـ ويتضمن روائع التوشيح والزجل المفعمين بالوجدانيات الرائعة والحكم المأثورة في براعة نظم ورسالة تعبير، وقد مكّنه تجرّده في العلوم العقلية والنقلية، إذ كان رجل

قضاء مشهور، وتضلّعه في الأدب والشعر إذ كان شاعراً مفلحاً، أن تأتي أشعاره مصبوغة بسموّ الذوق ورقة الحاشية، إلى جانب تأثره ببيئته الصناعية المرحة، وأتاحت له ظروفه الوظيفية وتنقلاته في نواح كثيرة في اليمن الإمام بقدر كبير من العادات واللهجات. ومعظم موشحاته وزجله مكاتبات وتهانيء ومدائح للإمام المتوكل على الله أحمد (١٢٢٤ - ١٢٣١هـ) ثم لابنه المهدي عبد الله (١٢٣١ - ١٢٥١هـ) ووزرائها ضمناً كثيراً من الحكم والمواعظ والأمثال السائرة، وكان لا يبدأ مقطوعته إلا بغزل يستغرق أكثر من نصفها ثم يتخلص منه إلى مقتضى الحال وهو إما شكوى أو عتاب أو مديح أو تهنة أو رثاء أو وصف حال..

لنستمع إليه يعاتب أحبابه في لطف ويزجي تبارحه في حُزن و يشكو البعاد في لوعة في مقطوعة مطلعها : (ياحيّ ياقيوم .. يا عالم بما تخفى الصدور).

|                    |                         |
|--------------------|-------------------------|
| عن ساكني صنعا      | حديثك هات وآ فوج النسيم |
| وخقّف المسعى وقف   | كي يشهد القلب الكليم    |
| هل عهدنا يُرعى وما | يرعى العهود إلا الكريم  |
| وسرّنا مكتوم لديهم | أم معرّض للظهور         |

بيت

|                  |                           |
|------------------|---------------------------|
| تبدلوا عَنَّا    | وقالوا عندهم عَنَّا بديل  |
| والله ما جِلنَّا | ولا ملنا عن العهد الأصيل  |
| ما بعدهم عَنَّا  | يغيّرنا ولو طال الطويل    |
| عقد الهوي مبروم  | اكيد، لا ينقضه مرّ الدهور |



ونراه يبكي شوقاً إلى صنعاء حيث يقيم أحبته ولا يطفى جوى أحشائه  
إلا مناغاة حمامات الغصون، فنراه يطارحها الوجد ويساجلها البكاء:

شابكي ومثلي لا يلام إن بكى  
عذري لأهل اللوم واضح

وأحلّ من غرب الدموع الوكا  
وأسقي بها غادي ورايح

وأساجل الورقا لعل البكا  
يطفى الجوى بين الجوانح

قد كنت لا أبكي وقلبي معي  
واليوم قد فارق ضلوعي

ونراه في حبه الحزين لا يرى لنفسه شبيهاً غير الطير المحبوس في قفصه  
فهو يخاطبه بقوله :

ليت شعري: من أكثر ترقاب الفرض  
فبيك ياطير وأحتاك وأحتاش؟

وتردد عليك كل يوم حتى أقتنص  
شا رذك والحذر من قَدْر، لاش؟

وربط ساق رجلك، وقصّر بالمقص  
من جناحك طويلات أأرياش

وتجاوز على ظلم حبسك في القفص  
بعدهما كنت مطلق في الاعشاش

ومنها :

كم يقلَّب من الفكر وجهه في السماء  
إن سمع في الهوى خفق الاجنح

ويظرب غناه إن رأى خُضرة وماء  
ويُصفق جناحه ويلتجح

ويظنُّه مرتجح، وفي الجهل العمى  
كيف محبوس مُشتاق يرتاح؟

ذاك يوم كان على غصن إن غنى رقص  
تحت رجليه وإن نؤشه ناش

#### توشيح

والذي هام قلبه بحبه  
وبقى كل حسنة ولبه

فيه من بدّة الطير جنبه

#### تقفيل

قد رضى به على لقط حبات الخالص  
حيث يسمع تخرواط الاحناش

ما يشا الرز والماء على السكر يمض  
في ججر بالقناديل والانقاش

#### بيت

طير ، عند الله افراج وعند الله سعه  
من مضايق على باها أفعال

فتحتها الصبر، فأصبر، فراس المنفعة  
فيه وكم لك من الخلق أمثال

ما جرى لك جرى له وقد يحصل معه  
حال ما قد خطر لك على بال

كلما ظن أنه من الورطه خلص  
جا وهي مثلما لعبة الباش

### توشيح

من يبلىغ بعيدين الاوطان  
من معنى بهم صب وهان

أن جبه لهم مثلما كان

### تقفيـل

لا تظنوه لما نأى خف أو نقص  
أو تعلق بحد غيرهم ماش

العزيمة أبت من تتباع الرخص  
والنصيحة تبرت من الغاش